

LSE Middle East Centre

لبنان مضطرباً

الأبعاد المكانية لانتفاضة 17 تشرين الأول/أكتوبر

دين شريف شارب

مركز الشرق الأوسط | شباط / فبراير 2024

عن مركز الشرق الأوسط

يعتمد مركز الشرق الأوسط على علاقة كلية لندن للاقتصاد و العلوم الاجتماعية الطويلة مع المنطقة، ويوفر محوراً مركزياً لمجموعة واسعة من البحوث حول الشرق الأوسط.

يهدف المركز إلى تعزيز التفاهم وتطوير البحوث الدقيقة حول المجتمعات والاقتصادات و الأنظمة السياسية والعلاقات الدولية في المنطقة. ويشجع المركز كلا من المعرفة المتخصصة والفهم العام لهذا المجال الحيوي. للمركز قوة بارزة في البحوث المتعددة التخصصات والخبرات الإقليمية. باعتبارها من رواد العلوم الاجتماعية في العالم. تضم كلية لندن للاقتصاد أقسام تغطي جميع فروع العلوم الاجتماعية. يستخدم المركز هذه الخبرة لتعزيز البحوث المبتكرة والتدريب على المنطقة.

مسؤولة التحرير
نسرين الرفاعي

تصميم
ربال سليمان حيدر

صورة الغلاف
متظاهرون يحرقون الإطارا على تحول جسر الرينغ في بيروت، 2019.



لبنان مضطرباً: الأبعاد المكانية لانتفاضة 17 تشرين الأول/أكتوبر

دين شريف شارب

مركز الشرق الأوسط
شباط/فبراير 2024

تم نشر هذا التقرير باللغة الإنجليزية في تشرين الأول/أكتوبر 2023

عن المؤلف

دين شريف شارب هو زميل زائر في الجغرافيا البشرية، قسم الجغرافيا والبيئة في كلية لندن للاقتصاد، وكان الباحث الرئيسي في مشروع التعاون الأكاديمي "لبنان مضطرباً" مع عدد من الجامعات العربية في مركز الشرق الأوسط في كلية لندن للاقتصاد. وهو المحرر المشارك لكتاب "ما وراء الميدان: العمران والانتفاضات العربية" (الأبحاث الحضرية، 2016)، و"غزة المفتوحة" (قسم النشر بالجامعة الأمريكية في القاهرة ومركز تيرفورم للأبحاث، 2022). هذا وسيتم نشر المجلد الثالث الذي تم تحريره بشكل مشترك من قبل الجامعة الأمريكية في القاهرة بعنوان إعادة الإعمار كعنف: حالة سوريا. ركزت أطروحة الدكتوراه التي قدمها شارب على الإرث الحضري لشركة سوليدير للتنمية المساهمة في لبنان. وهو يعمل حالياً على تأليف كتاب بالتعاقد مع مطبعة جامعة كاليفورنيا حول شركات التطوير الحضري في الشرق الأوسط المعاصر.

الموجز

كانت احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 غير مسبوقة من حيث نطاقها الجغرافي، ومدتها التي بلغت ثلاثة أشهر، وأعداد المتظاهرين الذين شاركوا فيها. وكان الانتشار والعمق الجغرافي من أكثر جوانب احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 التي علق عليها الأكاديميون والمحللون. كثيراً ما تم تأطير أهمية هذه الاحتجاجات من خلال نمطها الجغرافي "اللامركزي". لكنني أؤكد أن هذا لا يساعد بالوصول لفهم دقيق للديناميات الاجتماعية والمكانية التي أدّت إلى اندلاع الاحتجاجات في تلك اللحظة. شكّلت الساحتان العامّتان في بيروت، ساحة الشهداء وساحة النجمة، مركز ثقل الاحتجاجات، ورغم ذلك، كان اندلاع الاحتجاجات المتزامنة وواسعة النطاق والتي انتشرت خارج وسط بيروت، والمناطق والبلدات على طريق الدورة السريع (في جل الديب والزوق) وطرابلس وصيدا والنبطية والبقاع وبعلبك وزحلة فريداً من نوعه. أُشير في هذه الورقة البحثية إلى أنه لا يمكن فهم احتجاجات عام 2019 على أنها "لامركزية"، فهي تتسم بالانتشار الهَرَمي. وهذا الانتشار يعود لعمليات التوسع والتحضّر التي تسارعت في الأعوام الثلاثين الماضية. تضع هذه الورقة البحثية احتجاجات عام 2019 ضمن سياق هذه العمليات الأوسع لفهم أنماط الاحتجاجات التي اندلعت في شوارع لبنان خلال هذه الفترة.

لقي هذا البحث الدعم من برنامج التعاون الأكاديمي مع الجامعات العربية، الذي يشرف عليه مركز الشرق الأوسط في كلية لندن للاقتصاد وبتمويل من مؤسسة الإمارات. إلا أن الآراء الواردة في هذا البحث لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة الإمارات. هذا وكانت جامعة الروح القدس - الكسليك (USEK) المؤسسة الشريكة في إصدار هذه الورقة البحثية.

يتوجه المؤلف بالشكر للدكتورة مي فرحات، الباحثة الرئيسية المشاركة، وإلى ماريا باسيل وديالا مكي، الباحثتان المساعدتان في مشروع "لبنان مضطرباً" لما قدمتاه من مساهمة كبيرة في هذا البحث.

المقدمة

في 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019، هزت لبنان سلسلة احتجاجات استمرت ثلاثة أشهر. لقد أظهر البلد الذي يشار إليه في كثير من الأحيان على أنه "مجزأ" فجأة قدرة رائعة على التوحد. كانت هذه الاحتجاجات لافتة بسبب مدتها والتحالفات التي انعقدت خلالها وعدد الأشخاص المشاركين فيها والنطاق الجغرافي الذي انتشرت فيه. أشار كثيرون إلى الاحتجاجات بوصفها ثورة، وهو مصطلح تم استخدامه بشكل متكرر في الاحتجاجات نفسها، وما تزال الشعارات مكتوبة على الجدران في شوارع وأزقّة البلاد. ورغم أن احتجاجات عام 2019 لم تؤد إلى سقوط 'النظام"، أو تحقق نوع التغيير الذي طالب به اللبنانيون، إلا أنها كانت لحظة تحول ظهرت خلالها أشكال جديدة من الهويات والأطر السياسية والإمكانيات.[1] أحدثت الاحتجاجات التي انطلقت في تشرين الأول/أكتوبر 2019 هزةً عميقة في التركيبة المعقدة التي تسيطر عليها نخب سياسية واقتصادية، ولكنها لم تتمكن من إسقاطها. وعلى الرغم من فشل الاحتجاجات في إحداث تحول جوهري على مستوى البلاد، إلا أنها تبقى تشكل أهميةً كبيرةً في تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي والثقافي.[2]

كان النطاق الجغرافي لاحتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 أحد أكثر العناصر التي تناولها الباحثون والمحللون، حيث قبل ذلك التاريخ، كانت الاحتجاجات في لبنان المعاصر تقتصر على المدن، وبالتحديد في بيروت ومركزها. ولطالما كانت ساحة النجمة وساحة الشهداء في وسط بيروت، القريبتان من مقرات السلطة الحكومية، مركزاً أساسياً للاحتجاجات في البلاد.[3] وما يميّز احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر ويجعلها فريدة في تاريخ لبنان السياسي المثير للجدل هو أن تلك الاحتجاجات لم تقتصر على وسط بيروت، فقد خرجت مظاهرات في الشمال: في حلبا (عكّار) وزغرتا والبترون، وكذلك في طرابلس، ثاني أكبر مدينة في لبنان، مما أكسبها تسمية "عروس الثورة". كما خرجت مظاهرات أصغر حجماً في بلدات جبل لبنان، وفي الجنوب: صيدا والنبطية، وفي البقاع: بعلبك وزحلة. وبالإضافة إلى هذه البلدات والمدن، التي اندلعت فيها احتجاجات متزامنة غير مسبوقة مع احتجاجات العاصمة، ظهرت مساحات جديدة للاحتجاجات، ومن الجدير بالذكر أن طريق الدورة (المعروف رسمياً بالطريق السريع 51) قد أصبح موقعاً مهماً لاحتجاجات واسعة النطاق، عند تقاطعَي جل الديب والزوق.

ولفهم الأبعاد المكانية للخلاف السياسي، الذي ساهم بإثارة احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، عمد الأكاديميون والمحللون السياسيون والناشطون والصحفيون والمشاركون بشكل متكرر إلى استخدام مصطلح "اللامركزية".[4] في كتاب "انتفاضة 17 تشرين في لبنان: ساحات وشهادات"، على سبيل المثال، يقول محرّرا الكتاب جيفري كرم وريما ماجد إنها كانت "المرة الأولى في تاريخ لبنان الحديث التي تشهد فيها البلاد بشكل متزامن احتجاجات في مختلف أنحاء البلاد بطريقة لامركزية جغرافية، حيث حشدت تلك الانتفاضة أعداداً هائلة من المحتجين".[5] لقد تردد صدى هذا الشعور في العديد من المنتديات، وهو لا يزال الطريقة السائدة لفهم الأبعاد المكانية لاحتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019. وفي هذا السياق، يشير مصطلح "اللامركزية" إلى نطاق الاحتجاجات ومكان حدوثها، ولا سيّما وأن العديد من الأماكن المختلفة في مختلف أنحاء لبنان شهدت احتجاجات واسعة النطاق.

1 Hani Adada, 'The Cycle of Loss: Between Trial and Sabotage,' in *The Lebanon Uprisings of 2019: Voices from the Revolution,* Jeffrey Karam and Rima Majed, eds (London: I.B. Tauris, 2023), p. 235.

2 يمكن تقدير أهمية احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 في الحياة اللبنانية المعاصرة من خلال مقاطع الفيديو التي أُنتِجت في إطار هذا المشروع البحثي: https://lebanonunsettled.org/videos

3 For a full overview of the history of revolt in Lebanon see https://lebanonunsettled.org/archive.

4 For instance, see Jeffrey Karam and Rima Majed, 'Framing the October Uprising in Lebanon,' in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 1–16.

5 Ibid.



الشكل 1: الاحتجاجات في وسط بيروت. تصوير حسن شعبان، 2019.

أود الإشارة هذه الورقة البحثية إلى أنه يمكن التوصل إلى فهم أفضل لنسق احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 من زاوية الانتشار الهَرَمي بدلاً من زاوية اللامركزية. كما تهتم هذه الورقة البحثية بشكل أساسي بمساحات الاحتجاجات "خارج الساحة"[6] بالعاصمة في تشرين الأول/أكتوبر 2019، مع التأكيد في الوقت نفسه على أن الحراك لم يكن بالضرورة لامركزياً. تم تأطير احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر2019 من خلال انتشارها الهرَمي، حيث بدأت الاحتجاجات في وسط بيروت ثم انتشرت في مختلف أنحاء البلاد. لم تكن الاحتجاجات ثابتةً في الجغرافيا السياسية المثيرة للجدل، فقد اتخذت الاحتجاجات مستويات مختلفة ومتباينة من حيث الأهمية والبعد الاجتماعي. يستدعي التسلسل الهَرَمي المعقّد لأماكن الاحتجاجات مزيداً من البحث لا يتّسع له المجال هنا، ولكن يمكننا القول إن التسلسل الهَرَمي للاحتجاجات كان واضحاً

شكّلت ساحة الشهداء وساحة النجمة في وسط بيروت بالقرب من البرلمان ومكتب رئيس مجلس الوزراء (السراي الكبير) مركز ثقل الاحتجاجات، كما كان الحال منذ فترة طويلة (انظر الشكل 1). وأياً يكن شكل توزُّع السلطة في لبنان، فقد كانت هذه الاحتجاجات موجهة ضد الدولة والنخبة السياسية، التي ما زالت مُمثَّلةً رمزياً ومادياً بأجهزة الحكم، والتي تقع مقراتها ومراكزها في وسط بيروت. طوال فترة الاحتجاجات المتعددة التي اندلعت في تشرين الأول/أكتوبر 2019، شكّل "وسط بيروت" نقطة محورية للحراك. وكما قال لي أحد المشاركين في الاحتجاجات، ظلّت بيروت "الحدث الرئيسي".[7] ولكن الجديد في احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر كان سعي المتظاهرين لإغلاق الشوارع والطرقات، مما شجّع الناس على التظاهر بالقرب من منازلهم. ومن العناصر الجديدة الإضافية تحوّل طريق الدورة السريع نفسه إلى مكان مهم للاحتجاجات. أركّز في هذه الورقة البحثية على الإرث الحضري لليبرالية الجديدة لحقبة ما بعد الحرب لأنماط الانتشار الهَرَمي، وبالتالي أهمية الطريق السريع باعتباره مساحة مهمة للاحتجاجات.

[6] See, Deen Sharp and Claire Panetta, eds, *Beyond the Square: Urbanism and the Arab Uprisings* (New York: Urban Research, 2016).

[7] Anonymous, recorded audio interview, July 2022, Lebanon.

ووفقاً للكتاب الذي ألفه هنري لوفيفر ومانويل كاستيلز،[8] أرى أن احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 ربما لم تكن "ثورة"، بل نتيجةً وردة فعل للثورة الحضرية التي تعمّ لبنان منذ نهاية الحرب الأهلية (1991)، إضافةً إلى التوسع الحضري الليبرالي الجديد الذي انطوت عليه. وأبيّن أن احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 هي أول ثورة حضرية بالكامل في تاريخ لبنان.[9] لقد أثّرت عمليات التحضّر في لبنان على أنماط الاحتجاجات وعلى العلاقات الاجتماعية المكانية في البلاد، فضلاً عن نوع المطالب السياسية التي طالب بها المتظاهرون. على سبيل المثال، تمحورت الاحتجاجات حول القضايا الحضرية، التي كانت قائمة بشكل خاص على المدينة ومرتبطة بالنسيج الحضري بأكمله، بما في ذلك الخدمات العامة والعقارات والفساد وتوفير السلع والخدمات الحضرية (مثل الكهرباء والماء والنقل) والأشكال المكانية (مثل الطرق السريعة والأماكن العامة والمباني) والوصول إلى الأماكن الخاصة والعامة، ورسم حدود كل منهما ووضع تعريف له، فضلاً عن الحفاظ على الهوية الحضرية.[10] فرضت حقبة ما بعد الحرب بنية حضرية جديدة. أما الأزمة الحضرية التي حدثت في السنوات الأخيرة، والتي بلغت ذروتها في احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، فقد مثّلت التحدي الذي نتج عن المساحات الحضرية الجديدة التي نشأت في فترة ما بعد الحرب وعن ظهور القوى الفاعلة الجديدة في التاريخ والمجتمع. يجب فهم احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 على أنها ثورة حضرية ومتحضرة شكّلت فيها القضايا والمشاغل والمساحات الحضرية أهميةً كبيرةً.

تناول العديد من الباحثين أهمية القضايا الحضرية وأهمية الحيّز الحضري في احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019.[11] أشارت الأبحاث إلى اتّساع نطاق الاحتجاجات، وانتشارها الجغرافي في مختلف أنحاء البلاد، ولكنها ركّزت في تحليلها المكاني على الساحات العامة في بيروت وطرابلس. كما أولت أهمية لحجم الحشود التي تجمّعت في الساحات العامة، لا سيّما في ساحتي الشهداء والنجمة في بيروت وساحة النور في طرابلس، وكيف استعاد المحتجون الفضاء العام". ومن الجدير بالذكر أن الأبحاث اهتمت بتفصيل العمل التصحيحي المعقّد للانقسامات داخل ما بدا على أنه كتلة مُوحّدة في هذه الأماكن العامة، كما هو مبيّن بالتفصيل أدناه. ولكن هذه الدراسة الغنية للأبعاد المكانية لاحتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 نظرت إلى الاحتجاجات من زاوية مكانية ضيّقة، لذلك أعتزم في هذه الورقة البحثية القصيرة توسيع ذلك عبر لفت الانتباه

[8] Manuel Castells, *The City and the Grassroots* (London: Edward Arnold, 1983); Henri Lefebvre, *The Urban Revolution* (Minneapolis: University of Minnesota Press, [1970] 2003).

[9] For a full overview of the history of revolt in Lebanon see www.lebanonunsettled.org

[10] للحصول على نظرة عامة حول ما تم حشده ولماذا اندلعت الاحتجاجات، انظر هذه الورقة البحثية التوضيحية التي استطلعت آراء المحتجّين في الأسبوعين الأولين من الاحتجاجات:

Lea Bou Khater and Rima Majed, 'Lebanon's 2019 October Revolution: Who mobilized and why?', *The Asfari Institute for Civil Society and Citizenship, Working Papers*, http://www.activearabvoices.org/uploads/8/0/8/4/80849840/leb-oct-rev_-_v.1.3-digital.pdf (accessed 25 May 2023).

[11] See for instance, Tamim Abdo, 'Reconstructing the Uprising in Tripoli: The Revolution that Never Left the Square', in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 286–91; Mona Fawaz and Isabela Serhan, 'Urban Revolutions: Lebanon's October 2019 Uprising', *International Journal of Urban and Regional Research*, Spotlight On Series (2020). Available at https://www.ijurr.org/spotlight-on/urban-revolts/urban-revolutions-lebanons-october-2019-uprising/ (accessed 24 May 2023); Sara Fregonese, 'Rage Against the Sectarian Machine', *Urban Violence Research Network*, 29 October 2019. Available at https://urbanviolence.org/rage-against-the-sectarian-machine/ (accessed 14 August 2023); Hiba Ghanem, 'Spatial profanation of Lebanese sectarianism: al-Nur Square and the 17 October 2019 Protest', *Journal for Cultural Research* 25 (2021); Mona Harb, 'How Urban Space Shapes Collective Action: The Lebanese Uprising of 2019', in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 109–19; Nizar Hassan, 'The Power and Limits of Blocking Roads: How the October Uprising Disrupted Lebanon', in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 174–87; Nikolas Kosmatopoulos, 'Unhatching the Egg in Lebanon's 2019 Protests: Activism, Purity and the Real-Estatization of Civil Society', *The South Atlantic Quarterly* 120 (2021); Rawane Nassif, 'Roadblocking, Mass Strike and the Qantari Collective', in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 263–69; Anne-Kirstine Rønn, 'The Struggle of Unifying a People in Fragments', PhD dissertation, Aarhus University, 2022; Wael Sinno, 'How People Reclaimed Public Spaces in Beirut during the 2019 Lebanese Uprising', *The Journal of Public Space* 5 (2020).

إلى أن هذه الاحتجاجات كانت نتاجاً للفضاء الحضري، وبالتحديد التحول الحضري الليبرالي الجديد في فترة ما بعد الحرب وكيف أن الطريق السريع قد تحوّل إلى مكان للاحتجاجات.

تعتمد هذه الدراسة على بيانات نوعية مستمدة من أكثر من ثلاثين مقابلة، أُجرِيت باللغتين الإنجليزية والعربية مع طلبة وناشطين وأكاديميين شاركوا في الاحتجاجات. أُجرِيت هذه المقابلات في بيروت والكسليك وطرابلس، كما قمت بزيارة لأماكن الاحتجاجات على الطريق السريع في جل الديب والزوق. تعتمد هذه الورقة البحثية أيضاً على بحث تاريخي تم إجراؤه كجزء من مشروع "لبنان مضطرباً"، وهو متاح على الموقع الإلكتروني للمشروع.[12] تم إجراء هذا الدراسة لإثراء هذه الورقة البحثية في الفترة بين أيلول/سبتمبر 2020 وتموز/يوليو 2023.

احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019

قُبيل احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، تزايدت حدة التوترات في مختلف أنحاء البلاد. في آب/أغسطس، خفّضت وكالة فيتش الدولية التصنيف الائتماني للبنان نتيجةً لتخلفه عن سداد ديونه السيادية، مما زاد من الضغوط على اقتصاد البلاد الذي أصبح يعاني من هبوط مستمر.[13] بين عامي 1997 و 2019، كان الدولار الأمريكي والليرة اللبنانية يستخدمان معاً بسلاسة في التعاملات المالية اليومية، ولكن بحلول شهر أيلول/سبتمبر 2019، قيّدت المصارف الوصول إلى الدولار ورفض بعض التجّار قبول التعامل بالليرة اللبنانية.[14] أدى التضخّم إلى تدهور قيمة العملة المحلية، واختلف سعر تداول الدولار في السوق السوداء اختلافاً كبيراً عن السعر الرسمي. يوضح هانز بومان أن "تدهور قيمة العملة أدى إلى انتشار الذعر بين اللبنانيين، الذين كانوا يخشون من ارتفاع معدلات التضخم وتدني المستوى المعيشي في مرحلة كانت الأغلبية فيها على وشك الوصول لحافة الفقر".[15]

بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية، عمّت البلاد أزمة بيئية أيضاً، حيث ظهرت احتجاجات وشكاوى متزايدة بشأن سد بسري الذي كان يرعاه البنك الدولي.[16] وكانت المجموعات التي احتجّت على السد ذات أهمية في حراك تشرين الأول/أكتوبر. تصاعدت الأزمة البيئية في 13 تشرين الأول/أكتوبر مع اندلاع حرائق الغابات في الشوف وإقليم الخروب ومناطق أخرى في جنوبي بيروت. لم يكن لدى الدفاع المدني اللبناني ما يكفي من المعدات المناسبة لإخماد الحرائق، إضافةً إلى أن مروحيات الإطفاء الثلاث من طراز "سيكورسكي إس 80" كانت جميعها خارج الخدمة.[17] وهذا أدى إلى انتشار الحرائق وتدمير أكثر من ثلاثة آلاف فدان، ومقتل شخص واحد ووصول الحرائق إلى مناطق ذات كثافة سكانية عالية في بيروت. وفي 17 تشرين الأول/أكتوبر، نجحت قوات الدفاع المدني أخيراً في إخماد الحريق بمساعدة من قبرص والأردن وإيطاليا واليونان. ولكن التأخير والدمار الناجم عن عجز الحكومة اللبنانية عن إخماد الحرائق أثار غضب الكثيرين في البلاد.

12 'Lebanon Unsettled' website. Available at www.lebanonunsettled.org.

13 'Fitch Downgrades Lebanon to "CCC"', *Fitch Ratings*, August 2019, https://www.fitchratings.com/research/sovereigns/fitch-downgrades-lebanon-to-ccc-23-08-2019 (accessed 25 May 2023).

14 Hannes Baumann, 'Dumping Humpty-Dumpty: Blockages and Opportunities for Lebanon's Economy after the October 2019 Protests', *The South Atlantic Quarterly* 120/2 (2021), p. 456.

15 Ibid.

16 Roland Nassour, 'The Struggle for the Bisri Valley', in *The Lebanon Uprisings of 2019: Voices from the Revolution*, Karam and Majed, eds, pp. 277–85.

17 Joumana Haddad, 'Lebanon Is on Fire: The Lebanese government's ineptitude has driven people to the streets', *The New York Times*, October 2019.

وفي هذا السياق الذي تزايدت فيه الضغوط الاقتصادية والكوارث البيئية بسبب النخب السياسية، أثارت أخبار ما سُمِّي بـ"ضريبة الواتساب" غضباً واسعاً في مختلف أرجاء لبنان. وفي 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019، عقدت الحكومة اللبنانية جلسة لمجلس الوزراء لمناقشة عدة إجراءات وفرض زيادات ضريبية تهدف إلى زيادة عائدات الدولة في مواجهة سلسلة من الأزمات المالية. نوقش في الجلسة 36 بنداً ركزت على التقشف وزيادة الضرائب، وكان من ضمن هذه البنود زيادة ضريبة القيمة المضافة وخطة لفرض رسم قدره 0.20 دولاراً أمريكياً يومياً على خدمات الاتصال الصوتي عبر الإنترنت وهو ما يعني رسماً قدره 6 دولارات شهرياً على استخدام التطبيقات الشائعة (المجانية في الأصل) مثل واتساب وسكايب وفايبر وفيسبوك وفيس تايم. سُمّيت الضريبة على هذه التطبيقات بضريبة الواتساب. ويشير العديد من المحللين إلى هذه الضريبة بوصفها عاملاً محورياً في دفع الناس إلى الاحتجاج في ذلك اليوم.[18]



الشكل 2: صورة لصاحبة "الركلة الشهيرة"، تصوير رامي قانصو، 2019.

بعد تسريب تقارير لوسائل الإعلام عن جلسة مجلس الوزراء، والتقارير اللاحقة حول ضريبة الواتساب، تجمّع عدد صغير من المتظاهرين في وسط بيروت وشارع الحمرا للاحتجاج على تلك القرارات. وسرعان ما أغلق المتظاهرون الطرق المحيطة بالبرلمان والسراي الكبير في وسط بيروت، وحدثت اشتباكات بين المتظاهرين وقوى الأمن. منع المتظاهرون موكب وزير التربية والتعليم أكرم شهيب من الخروج من مبنى البرلمان، فأطلق الحارس الشخصي لشهيب النار في الهواء لتفريق الحشود. أثار هذا التصرف غضب المحتجين، وانتشرت صورة صاحبة "الركلة الشهيرة" على وسائل التواصل الاجتماعي (انظر الشكل 2)، مما أدى إلى زيادة حدة الاحتجاجات، والتي سرعان ما تصاعدت في 17 تشرين الأول/أكتوبر، حيث ازداد عدد المتظاهرين من بضع مئات إلى بضعة آلاف في وقت مبكر من مساء ذلك اليوم في بيروت. وبعدها بفترة قصيرة، انتشر الحراك ليس فقط في بيروت، بل في مختلف أرجاء لبنان، من الشمال إلى الجنوب. وتحرّك المتظاهرون لإغلاق الطرقات السريعة والرئيسية، مما أدى إلى شلّ الحركة في البلاد. وبذلك، بدأت احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019.

[18] For the full timeline of October 2019 and bibliography see 'Lebanon Unsettled' website. Available at www.lebanonunsettled.org.

وسرعان ما أدرك الأكاديميون أهمية احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، وظهرت سريعاً دراسات حول معنى وأسباب وعواقب الحراك. تناولت الدراسات موضوعات واسعة الطيف، وعلى رأسها الليبرالية الجديدة (المذكورة بتفصيل أكبر لاحقاً) والحركة العمالية[19] والطائفية[20] والنوع الاجتماعي[21] ووسائل التواصل الاجتماعي[22] وشهادات من المتظاهرين.[23]

وظهرت مجموعة أصغر نسبياً من الدراسات ولكنها مهمة، حيث إنها أولت عناية لأماكن المظاهرات (كما هو مفصّل أعلاه). ركزت الدراسة على المساحات الحضرية للاحتجاجات، وناقشت بشكل مطوّل تفعيل الأماكن والمساحات المركزية، ولا سيما في بيروت وطرابلس، مع إيلاء بعض الاهتمام لتجمعات جديرة بالذكر في البلدات والمدن الصغيرة، مثل صيدا وصور والنبطية.[24] ركزت الكتابات عن الاحتجاجات في هذه الأماكن في معظمها على وحدة المحتجين في هذه الأماكن وعلى مساعيهم لاستعادة "الحق في المدينة". ولكن جزءاً من هذه الكتابات ركّز أيضاً على كيفية احتواء الساحة العامة لحركة الاحتجاجات وتقسيمها. جمعت الساحة الناس جنباً إلى جنب، ولكن ضمن هذه الكثافة العددية كانت ثمة انقسامات معقدة طبقية وسياسية، ومنها ما يتعلق بالنوع الاجتماعي.

تقدّم آن كريستين رون، على سبيل المثال، تفاصيل الترتيب المكاني للمظاهرات، حيث "تم تخصيص قواعد مختلفة للمتظاهرين من ذوي التوجهات التكتيكية المختلفة. ولم يكن في وسع المتظاهرين المساومة بشأن كيفية استخدام نفس الساحة، فقد كان يُنظر إلى الانتقال من مكان إلى آخر على أنه وسيلة للتعايش دون التسبب بإزعاج بعضهم البعض".[25]

[19] See for instance, Baumann, ‘Dumping Humpty-Dumpty’; Kamal Dib, ‘Predator Neoliberalism Lebanon on the Brink of Disaster,’ *Contemporary Arab Affairs* 13, no. 1 (1 March 2020): pp. 3–22; Rima Majed, ‘“Sectarian neoliberalism” and the 2019 Uprisings in Lebanon and Iraq,’ in *The Lebanon Uprisings of 2019: Voices from the Revolution,* Karam and Majed, eds, pp. 76–88; Lara Khattab, ‘The Genealogy of Social and Political Mobilization in Lebanon under a Neoliberal Sectarian Regime (2009–2019),’ *Globalizations* (2022), online first.

[20] Martada Al-Amine, ‘The Lebanese Uprising through the Eyes of Loyalists,’ in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 163–73; Abbas Assi, ‘Sectarianism and the Failure of Lebanon’s 2019 Uprising,’ *Middle East Insights* 251 (2020); Tamirace Fakhoury, ‘The Unmaking of Lebanon’s Sectarian Order? The October Uprising and its Drivers,’ *IAI Commentaries* 66 (November 2019); Ghanem, ‘Spatial profanation of Lebanese sectarianism’; Rønn, ‘The Struggle of Unifying a People in Fragments’; Sára Vértes, Chris van der Borgh and Antoine Buyse, ‘Negotiating Civic Space in Lebanon: The Potential of Non-Sectarian Movements’, *Journal of Civil Society* 17/3–4 (2 October 2021): pp. 256–76.

[21] Sara Mourad, Sally Farhat and Jad Melki, ‘Lebanon’s 2019 Uprising: A Feminist Uprising or Feminized Media Sensationalism?’ *Howard Journal of Communication* (2023), online first; Sara Mourad, ‘Appearing as Women,’ in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 140–51; Nay el Rahi, ‘Clashing with the Patriarchy: The Promise of Potential as Politics,’ in *The Lebanon Uprisings of 2019,* Karam and Majed, eds, pp. 152–62.

[22] Louis Dima and Michelle Mielly, ‘People on the tweets: Online collective identity narratives and temporality in the #LebaneseRevolution,’ *Organization* 30 (2023), pp. 89–115; Jad Melki and Claudia Kozman, ‘Selective Exposure During Uprisings: Examining the Public’s News Consumption and Sharing Tendencies During the 2019 Lebanon Protests,’ *The International Journal of Press/Politics* 26 (2020); Karim Merhej, ‘The Lebanese Uprising in the Digital Age,’ *Cyber Orient* 14 (2020): pp. 85–98; Rayane Al-Rammal, ‘Digital Activism in Movement: The 2019 Lebanese Uprising’s Art on Instagram,’ in *The Global Politics of Artistic Engagement: Beyond the Arab Uprisings,* Pénélope Larzilliere, ed. (London: Brill, 2023).

[23] Elias Dahrouge, Jihad Nammour and Ahmed Samy Lotf, ‘The 17 October 2019 protests in Lebanon: Perceptions of Lebanese and non-Lebanese residents of Tripoli and surroundings,’ *Global Campus Human Rights Journal* 4 (2020), pp. 488–516; Karam and Majed, eds, *The Lebanon Uprisings of 2019*; Khaled Ziadeh and Mohammed Abi Samra, eds, *Lebanon’s October Uprising: Squares and Testimonies* [Arabic] (Doha: The Arab Centre for Political Studies and Research, 2022).

[24] Abdo, ‘Reconstructing the Uprising in Tripoli’; Fawaz and Serhan, ‘Urban Revolutions’; Ghanem, ‘Spatial Profanation of Lebanese Sectarianism’; Harb, ‘How Urban Space Shapes Collective Action’; Rønn, ‘The Struggle of Unifying a People in Fragments’; Sinno, ‘How People Reclaimed Public Spaces in Beirut during the 2019 Lebanese Uprising.’

[25] Rønn, ‘The Struggle of Unifying a People in Fragments’, p. 100.

يشرح تميم عبدو، الذي شارك في الاحتجاجات في ساحة النور بطرابلس تفاصيل تجربته، التي انتقلت من الإيمان بإمكانية التجمّع في الساحة إلى تجربة "الساحة بوصفها مكاناً يبعث على الشعور بالبعد والاغتراب".[26] رأى تميم أن الميدان في طرابلس أصبح يهيمن عليه ناشطو الطبقة الوسطى، مما استبعد الفقراء، وكيف أن ساحة النور سرعان ما تم اختراقها والاستيلاء عليها من قبل القوى المضادة للثورة.[27] ويخلص عبده إلى أن "حدود الساحة أصبحت هي حدود الثورة".[28] ولاحظ كوزماتوبولوس انقسامات مكانية مماثلة في بيروت، حيث أشار إلى وجود مجموعة من المتظاهرين حول السراي "ومن الواضح أنهم أكثر فقراً وغضباً واستعداداً للقيام بأفعال احتجاجية عنيفة"، في حين كان المتظاهرون المتواجدون في ساحة الشهداء، حسب رأيه، ينتمون إلى الطبقة الوسطى، "وبدوا راضين باحتلال المكان إلى جانب الأحزاب السياسية ومبادرات المجتمع المدني الراسخة إلى حد ما للاحتفاء بالاحتجاجات الوطنية".[29]

وبما أن المدينة والنسيج الحضري هما دائماً مُنتجات اجتماعية ناتجة عن تضارب المصالح والقيم الاجتماعية، فإن بنية الفضاء الحضري والتنازع عليها دائماً ما تشمل المهيمن والمهيمن عليه. ولا تقتصر الأهمية الحضرية لاحتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 على الشكل الذي اتخذته لتسهيل الفضاء الحضري للاحتجاجات، بل في الطريقة التي احتشد فيها المتظاهرون لتحويل البنية الحضرية وخلق معانٍ اجتماعية جديدة. وكما سأُبيّن في القسم الأخير، تجلى هذا بشكل أكثر وضوحاً في إغلاق الطرق السريعة، وتحويلها - وإن مؤقتاً - من أماكن للتنقل والحركة إلى أماكن للمطالبة وصنع المكان. كما ساهم الانتشار الهَرَمي للثورة في جعل احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 أول حركة احتجاج حضرية بالكامل في تاريخ لبنان. ولفهم ذلك، علينا أولاً تناول العملية الحضرية السائدة التي فُرِضت على المجتمع اللبناني، والتي تشكّل الحراك بموجبها وتم الاحتجاج عليها.

الليبرالية الجديدة كمشروع حضري

يرى العديد من الباحثين أن احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 كانت بمثابة ردة فعل ضد النظام الليبرالي الجديد الذي أسسه رفيق الحريري بعد نهاية الحرب الأهلية.[30] ولعل ضريبة الواتساب هي الشرارة التي أشعلت الاحتجاجات، ولكن المتظاهرين أوضحوا أن الاحتجاجات كانت موجّهه ضد الطبقة السياسية كلها وبسبب تدهوُر المستوى المعيشي الأساسي في البلاد. وفي استطلاع لآراء المتظاهرين خلال الأسبوعين الأولين من الاحتجاجات، عزا 87% من المتظاهرين مشاركتهم لأسباب اقتصادية.[31] جاءت احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 انفجاراً للغضب الحضري ضد ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض الأجور في المناطق الحضرية، وتدني مستوى الخدمات الأساسية في المناطق الحضرية مثل الماء والكهرباء وانعدام المساواة الشديدة التي أصبحت راسخة في البلاد. وكما قال ماجد وسلمان:

> جاءت الاحتجاجات بشكل واسع النطاق ضد الليبرالية الجديدة على الطراز اللبناني، وهي نوع من الليبرالية الجديدة، التي تلعب دورها في سياق الطائفية التي تسيطر عليها النخبة. وهذه الحركة الاحتجاجية تحدث لأول مرة منذ نهاية الحرب الأهلية عام 1990 وتشهد احتجاجاً واسعاً ضد النخب الطائفية الحاكمة والنخب المالية والمصارف معاً، حيث حمّل المحتجون هذه الجهات مسؤولية الأزمة.[32]

[26] Abdo, 'Reconstructing the Uprising in Tripoli', p. 286.

[27] Ibid, p. 291.

[28] Ibid.

[29] Kosmatopoulos, 'Unhatching the Egg in Lebanon's 2019 Protests', p. 448.

[30] See the literature on neoliberalism detailed above.

[31] Khater and Majed, 'Lebanon's 2019 October Revolution', p. 17.

[32] Rima Majed and Lana Salman, 'Lebanon's Thawra,' *Middle East Report* (*MERIP*) 292/293 (2019): p. 7.

منذ العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أصبحت الليبرالية الجديدة إطاراً تفسيرياً قوياً يشرح من خلاله الباحثون المنظومة السياسية والاقتصادية التي أرساها رفيق الحريري في لبنان بعد انتهاء الحرب الأهلية.[33] يرى هانز بومان، على سبيل المثال، أن الحريري اتّبع نموذجاً ليبرالياً جديداً على الصعيد العالمي، والذي تضمّن الخصخصة والتحول نحو الاقتصاد المالي والتقشف في الإنفاق العام وإعادة التطوير الحضري وإصلاح القطاع العام.[34] وكانت الركيزتان الأساسيتان لهذا النموذج هما إعادة إعمار وسط بيروت من خلال المشروع الضخم الذي تقوده شركة التنمية الحضرية سوليدير، وتثبيت الليرة اللبنانية على الدولار الأمريكي.[35] ويرى بومان أن كلا الأمرين أنتجتا "ريعاً" - يوصَف بأنه أرباح ضخمة - استفاد الحريري منه في منافسته مع خصومه من النخب السياسية التي حصلت على ريعها الخاص من خلال مؤسسات الدولة المسؤولة عن وكالات الرعاية الاجتماعية.[36]

يرى العديد من الباحثين أن احتجاجات عام 2019 كانت ردة فعل على الانهيار الحتمي للمخطط الليبرالي الجديد غير المستدام الذي أسسه الحريري. ويشير بومان إلى أن ربط العملة بالدولار أدى إلى انهيار بطيء لقيمتها خلال العقد الماضي. وأدى ابتعاد المملكة العربية السعودية، خصوصاً، عن سعد الحريري و لبنان عموماً، إلى تباطؤ كبير في تدفقات الدولار إلى لبنان: "بحلول صيف عام 2019، لم يعد في إمكان المصرف المركزي وقف تدفقات رؤوس الأموال إلى الخارج وأصبح وجود الدولار نادراً".[37]

أدى هذا المشروع الليبرالي الجديد إلى إنتاج مساحة دولة حضرية معينة في لبنان، وتم ترسيخ بيروت كمركز للثقل السياسي والاقتصادي للبلاد، إضافةً إلى إنشاء جيوب للنخبة في مناطق مثل وسط بيروت، والتي لم تتميّز فقط بالمباني السكنية الفاخرة التي صممها بعض أبرز المهندسين المعماريين في العالم، ولكن أيضاً بالبنية التحتية المتطورة، مثل الاتصال السريع بالإنترنت عن طريق الألياف الضوئية. وأصبح لبنان دولة تهيمن عليها الصفقات العقارية وشركات البناء، حيث تساهم هذه الشركات في الناتج المحلي الإجمالي عوضاً عن الصناعة والزراعة. أدى هذا إلى التَحضر السريع في جميع أنحاء البلاد إضافةً إلى أن نزوح السوريين إلى لبنان في أعقاب الحراك الشعبي الذي شهدته سوريا في عام 2011 قد أدى إلى تسريع إيقاع هذا التَحضّر. تقدر الأمم المتحدة أن 89% منهم يعيشون الآن في المدن والبلدات اللبنانية.[38]

تحول لبنان إلى دولة تضم مجتمعاً كبيراً يعيش في المدن بشكل كامل. هذا وتوشك القرية من حيث إنها تضم تجمعاً سكنياً يتبع أسلوب عيش محدد على الذوبان في تجمعات أكبر، حيث تنتشر المنازل المخصصة لقضاء العطلات، ومراكز التسوق، ومنتجعات التزلج، والمتاجر، والطرق السريعة، والفنادق، والتي تشكل جميعاً هذا النسيج الحضري. ومن الأمثلة على ذلك مول كاسكادا التجاري، الذي يُسمّى أيضاً "قرية" كاسكادا. يقع المول في "قرية" المرج في وادي البقاع، ويضم متجراً لسلسلة كارفور ومنتزهاً مائياً والعديد من المتاجر والمطاعم. ولكن الاستثمار الأوسع في النسيج الحضري يتداعى من حيث البنية التحتية والخدمات الحضرية الأساسية (خارج أماكن سكن النخب). كان التحضّر المكثّف يعني أن ارتفاع معدل الاستهلاك الجماعي للخدمات الحضرية، ولئن كان تقديم الخدمات العامة ضرورياً، كما يرى كاستلز بصورة أعم فهو غير مربح لرأس المال الخاص، مما يدفع بالقضايا الحضرية إلى واجهة الصراعات السياسية.[39]

33 Deen Sharp, 'Between the Future and Survival in Lebanon: Corporate Urbanization', PhD Dissertation, City University of New York, 2018.

34 Hannes Baumann, *Citizen Hariri: Lebanon's Neoliberal Reconstruction* (London: Hurst, 2017).

35 For a full review of the scholarship on neoliberalism and Lebanon's post-war reconstruction see Sharp, 'Between the Future and Survival in Lebanon'.

36 Baumann, *Citizen Hariri*.

37 Baumann, 'Dumping Humpty-Dumpty', p. 459.

38 UN-Habitat Lebanon & ESCWA, *State of the Lebanese Cities* (Beirut, UN-Habitat Lebanon), p. 7.

39 Castells, *The City and the Grassroots*.

طلعت ريحتكم



الشكل 3: نهر من القمامة. تصوير حسن شعبان، 2015

في عام 2015، ظهر تداعي البنية التحتية الحضرية المنهارة في لبنان على السطح من خلال حملة "طلعت ريحتكم" الاحتجاجية. تراكمت القمامة في شوارع بيروت بسبب إغلاق مكب النفايات الرئيسي من دون توفير بديل عنه وذلك نتيجةً للجمود السياسي (الشكل 3). وفي قلب هذه الاحتجاجات حدثت حملة عُرِفت لاحقاً باسم "طلعت ريحتكم" حيث حددت الحملة مجموعة من المطالب، والتي لم تقتصر على حل أزمة القمامة فحسب، بل استهدفت أيضاً التداعي الأوسع للحكم المتجذر في المنظومة السياسية الطائفية لليبرالية الجديدة في لبنان. ولم تقتصر عملية الحشد على حركة "طلعت ريحتكم" فحسب، بل شملت أيضاً مجموعة متنوعة من الناشطين الذين انضمت إليهم عشرات المجموعات الأخرى التي تمت الإشارة إليها باسم "الحراك". أدّت حركة "طلعت ريحتكم" إلى حشد أعداد غير مسبوقة من المحتجّين في بيروت، حيث ساهم الغضب من النخبة الحاكمة بسبب أزمة القمامة وكل ما تمثّله في توحيد عشرات الآلاف من اللبنانيين رغم الاختلافات الماثلة بين المحتجين. وصلت الاحتجاجات إلى ذروتها في 29 آب/أغسطس، ثم ضعفت تدريجياً مع انتشار التعب، وتغلّب الانقسامات القديمة على الوحدة التي عمّت فترة التحشيد.

خلّفت حركة "طلعت ريحتكم" أثراً طويل الأمد على السياسة في لبنان. وكان تأثير الحركة الاحتجاجية واضحاً في الانتخابات البلدية لعام 2016، وظهور حملة "بيروت مدينتي".[40] خسرت حملة "بيروت مدينتي" الانتخابات البلدية، ولكنها تمكّنت من إطلاق إحدى أهم المحاولات لانتزاع السلطة من النخبة السياسية عبر مشروع غير طائفي وضمن حدود النظام الانتخابي. وكان تأثير احتجاجات حركة "طلعة ريحتكم" والزخم السياسي الذي أنتجته الانتخابات البلدية لعام 2016 واضحين في احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، حيث ظهر أبرز شعار فيها: "كلن يعني كلن"، والمأخوذ مباشرةً من احتجاجات عام 2015. وكما أشارت منى حرب، تتمثل أهمية هذا الشعار في أن النشطاء طالبوا ولأول مرة بعد عام 2006

[40] Deen Sharp, 'Beirut Madinati: Another Future Is Possible', *Middle East Institute*, 2016.

بالمحاسبة بشكل واضح لكافة أطراف الطيف السياسي نتيجةً لفشلهم في تقديم الخدمات العامة ومكافحة الفساد.[41]

إلا أن حركة "طلعت ريحتكم"، مثل مختلف الحركات الاحتجاجية المعاصرة في لبنان، تمحورت بشكل شبه كامل حول بيروت.[42] ورغم أن الاحتجاجات كانت متركزة حول المدينة، إلا أنها لم تكن ثورة حضرية بالكامل. اندلعت احتجاجات أصغر في طرابلس وصيدا وبعض المراكز الحضرية الأخرى، ولكنها سرعان ما تبددت.[43] كانت أزمة التحضر الوطنية في لبنان متمحورة حول الحدود البلدية لبيروت وذلك حتى تشرين الأول/أكتوبر 2019، عندما أصبحت الأزمة الحضرية ثورة وطنية حضرية بالكامل. هذا الاتساع الجغرافي لاحتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 هو ما ميّزها عن مختلف الحركات الاحتجاجية السابقة، فقد كانت هذه الحركة أول ثورة حضرية بالكامل في لبنان حاولت فيها المظاهرات إعادة النظر في الفضاء الحضري وتغييره لإحداث تغيير في المجتمع.

تمدّن الثورة: احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 والطريق السريع

لطالما استُخدِمت السواتر لإغلاق الطرقات كأداة في الاحتجاجات في المناطق الحضرية.[44] يرى إيريك هازان أن السواتر بدأت تختفي في القرن العشرين كأداة أساسية في الاحتجاجات، ولكن في الآونة الأخيرة شهد هذا التكتيك إلى جانب أشكال أخرى من التعطيل المكاني عودة للظهور في القرن الحادي والعشرين، جنباً إلى جنب مع الدراسات النظرية المرتبطة به.[45] ولإغلاق الطرقات تاريخ في لبنان على الرغم من أنها ليست إيجابية أو تحررية بشكل مفرط. ووفقاً لأحد أعضاء تجمّع القنطاري، وهي مجموعة نشطت في عمليات إغلاق الطرقات، ولا سيما في بيروت، فإن الشبح الأكبر الذي طارد المجموعة عند قطع الطرقات هو صورة حواجز الحرب الأهلية، مشيرين إلى أن "من يرانا من جيل محدد قد يستحضر ذكريات الحرب، ذكريات الحواجز وفحص الهويات، ومسلحي الميليشيات الذين يقررون من سيمر ومن سيُطلَق عليه الرصاص".[46] وللرد على ذلك، شرحت المجموعة أهدافها ودوافعها للسائقين عبر توزيع كتيّبات تشرح أنهم يغلقون الطريق بسبب غياب الخدمات الحضرية الأساسية، وإساءة استغلال النخبة لسلطتها، وسوء إدارة المرور. وخلص الكتيّب إلى ما يلي: "هذه المرة فقط، نحن نقطع الطريق ويمكننا معاً إزالة كافة حواجز الطرق الأخرى".[47]

وكانت سرعة وضع السواتر وانتشارها الجغرافي أمراً ملفتاً للنظر. يروي نزار حسن أنه "بحلول منتصف ليل 17 تشرين الأول/ أكتوبر، كانت معظم الطرق السريعة والحيوية مغلقة في المناطق الحضرية، تم إغلاق حتى الشوارع الداخلية من قبل رجال ونساء من الطبقة العاملة الذين يحرقون حاويات القمامة... في وسط الشارع" (انظر الشكل 4).[48] والجدير بالذكر أن المتظاهرين تحركوا بسرعة ليس فقط لإغلاق الطرقات ومحاور المرور الأساسية في بيروت وما حولها، بل تحركوا أيضاً لتنفيذ إجراءات عفوية وغير مُنسّقة، ولكن متزامنة بشكل حاسم لوقف حركة المرور على الطرق الرئيسية في مختلف أنحاء البلاد. ويجدر التأكيد على مدى حداثة هذا الأمر وعلى عدم تركز الاحتجاجات في بيروت وحدها. يتذكّر الكاتب

41 Mona Harb, ‘New Forms of Youth Activism in Contested Cities: The Case of Beirut’, *The International Spectator* 53 (2018): p. 87.

42 For a full overview of the historical context of protest in Lebanon, see ‘Lebanon Unsettled’ website. Available at www.lebanonunsettled.org

43 Ziad Abu-Rish, ‘Garbage Politics’, *Middle East Report* (*MERIP*) 277 (2015).

44 Eric Hazan, *A History of the Barricade* (London: Verso, [2013] 2015).

45 Charmaine Chua and Kai Bosworth, ‘Beyond the chokepoint: Blockades as Social Struggles’, *Antipode* 2023, online first.

46 Nassif, ‘Roadblocking, Mass Strike and the Qantari Collective’, p. 264.

47 Ibid.

48 Hassan, ‘The Power and Limits of Blocking Roads’, pp. 175–6.

كاميل أمون كيف قامت الأحزاب السياسية في انتفاضة الاستقلال عام 2005 بنقل الناس بالحافلات من مختلف أنحاء البلاد إلى بيروت للمشاركة في الاحتجاجات.[49] لكن احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 كانت لافتة للنظر من حيث غياب الحضور الواضح للأحزاب التقليدية في الأسابيع الأولى، وفي طابعها التنازلي الذي تجلى في جغرافيا الثورة. تتذكر لاريسا أبو حرب، التي شاركت في إغلاق الطريق السريع في البترون، كيف تم تشجيع الناس على الاحتجاجات في مكان سكنهم، عوضاً عن الذهاب إلى بيروت، وقد شجعتهم الاحتجاجات التي خرجت في طرابلس وفي الجنوب.[50]

وكان الأثر المترتب على شلّ الحركة على مستوى البلاد ومنع التنقل على الطرق السريعة هو فرض إضراب عام غير رسمي. هذا وتدّعي عالمة الاجتماع ربما ماجد أن ما جعل هذه اللحظة ثوريةً هو الإضراب الجماهيري، والذي كان يعني في هذا الاحتجاج إغلاق الطرق السريعة، والتي حلّت محل "الساحات"، مما جعل التجمّعات في الساحات الكبيرة أمراً ممكناً "وكان هذا هو جوهر ما حدث" بحسب تعبير ماجد.[51]

ويقول أعضاء من تجمع القنطاري: "كنا مضطرين لشل حركة المرور لإعطاء الناس عذراً لعدم الذهاب إلى العمل وليتمكّنوا من الانضمام للاحتجاجات، إضافةً إلى إغلاق الجامعات كي يتمكّن الطلبة، وهم أكبر كتلة احتجاجية، من البقاء في الشوارع، فضلاً عن التأكيد على أننا نحن الناس نملك الشوارع ومعركتنا مع النظام تُخاض في الشارع".[52]



الشكل 4: الاحتجاجات على طريق جل الديب السريع. تصوير كريستينا كرم، 2019.

[49] Camille Ammoun, Recorded interview, July 2022, Lebanon.

[50] Larissa Abou Harb, Recorded interview, July 2022, Lebanon.

[51] Rima Majed, Recorded interview, July 2022, Lebanon.

[52] Nassif, 'Roadblocking, Mass Strike and the Qantari Collective', p. 264.

يبيّن حسن أن "قطع الطريق وفّر طريقاً مختصراً للوصول إلى إضراب عام ... بالنسبة لشعب تعطّلت قدرته على التغيير إثر التحول الليبرالي الجديد في الاقتصاد اللبناني بعد الحرب"،[53] مشيراً إلى أن إغلاق الطريق "فرض إضراباً عاماً قسرياً" لأن "الأدوات النموذجية لتحقيق مثل هذا الإضراب لم تكن قابلة للتطبيق نتيجةً لقمع الحركات العمالية في لبنان وهزيمتها وسيطرة الطبقة الحاكمة بعد الحرب عليها".[54] في الواقع، لم يدعُ الاتحاد العام لعمال لبنان للإضراب، ولم يُصدر بياناً إلا بعد مرور ثلاثة أسابيع على بدء الاحتجاجات، وهو ما قوبل باستياء المحتجين.[55] ويرى تشوا وبوزورث أن عودة السواتر كتكتيك احتجاجي على صعيد عالمي يشير إلى تغيرات في الاقتصاد السياسي الرأسمالي، بما في ذلك زيادة قمع العمال وتراجع الحركة الصناعية وضعف الاتحادات والنقابات.[56] أصبح إغلاق الطرقات في السياق اللبناني وسيلة لفرض إضراب عام في ظل غياب أي جهة قادرة على تنظيم إضراب كبير.[57] لم يتحول الساتر أو الحاجز نفسه إلى نقطة تركيز للمحتجّين فما حدث أن حشوداً كبيرةً تجمّعت في مركز الطريق السريع، فحوّلت هذا الفضاء، الذي يقتصر عادة على السيارات، إلى مكان عام للمشاة. هذا وأوضح أحد أعضاء تجمع القنطاري أن "اختيار الطرق الواجب إغلاقها، والسيارات التي يجب السماح بمرورها، دفعنا وبالصدفة إلى اختيار وسائل النقل التي نريدها مثل الدراجات النارية والدراجات الهوائية والمشاة فقط. وبذلك، أعدنا تصوّر المدينة لتصبح أبطأ وأصغر وأهدأ وصديقة للمشاة".[58] في بيروت، تحول جسر الرينغ، وهو جزء من طريق الرينغ الرئيسي في بيروت إلى مكان محوري في الاحتجاجات. تم تحويل هذه المساحة الحضرية التي تهيمن عليها السيارات عادة، من قبل المتظاهرين الذين أعادوا تصور المكان إلى شقّة في الهواء الطلق، فأضافوا الأرائك والبرادات والكراسي الخاصة بهم، إضافةً إلى نشر إعلان عبر الانترنت على موقع "Airbnb" يعرض فرصة حجز ليلة فيما كان يُعرف على نطاق واسع باسم"شقة الشعب".

[53] Hassan, ‘The Power and Limits of Blocking Roads’, p. 174.

[54] Ibid, p. 176.

[55] Khattab, ‘The Genealogy of Social and Political Mobilization in Lebanon under a Neoliberal Sectarian Regime (2009-2019)’, p. 11; Statement by the Executive Council of the General Confederation of Lebanese Workers. Available at https://shorturl.at/eNP16 (accessed 29 May 2023).

[56] Chua and Bosworth, ‘Beyond the chokepoint’, p. 3.

[57] Lebanon Unsettled, ‘The Geographies of October 2019’, 2023. Available at www.lebanonunsettled.org

[58] Nassif, ‘Roadblocking, Mass Strike and the Qantari Collective’, p. 267.



الشكل 5: ساحة الرينغ في بيروت. تصوير أنطوان عطاللّه، 2019.

وحدثت ممارسات مشابهة في الطرق السريعة في مختلف أنحاء البلاد. وكما أوضح أحد المشاركين، كانت الطرق السريعة مساحات منسية، وفي جونية، المزدحمة دوماً: "نسينا أن هذا المكان جزء من مدينتنا،[59] مضيفاً أنه "عندما سرتُ على الطريق السريع، اكتشفتُ جزءاً جديداً من مدينتي،" وهو أمر مهم لأنه قبل احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، كانت جميع الاحتجاجات محصورة في بيروت، مما أدى إلى حصر الحياة السياسية في العاصمة، في حين أتاحت هذه الاحتجاجات الفرصة أمام اللبنانيين جميعاً للاحتجاج في مناطقهم. وأشار مشارك آخر انضم إلى الاحتجاجات في طريق الزوق السريع إلى أن "أفضل شيء أتذكره عن الاحتجاجات هو أنني شهدت وتيرة لم يكن من الممكن الوصول إليها من قبل...لم أمشِ يوماً على طريق سريع، وكان ذلك شيئاً مهماً بالنسبة لي لأننا أخيراً طالبنا بمساحة عامة وكان لدينا إمكانية الوصول إلى مساحة عامة."[60] لم يتم إغلاق الطريق السريع فحسب، بل تحولت وظيفته من مكان للتنقل والحركة إلى مكان للاحتجاجات واللعب والمناقشة. وكما قال أحد المشارِكين ممن انضموا إلى احتجاجات طريق جل الديب السريع:

> جعلتنا الاحتجاجات نرى مدينتنا بشكل مختلف...من كان يتوقع أن نضحك ونبكي ونصرخ في منتصف الطريق السريع؟ لا أحد. وهذا ما ميّز الاحتجاجات هناك، لأننا كنا نستحوذ على تلك الأماكن، وكنّا نتصرف على طبيعتنا لفترة قصيرة.[61]

اضطلعت هذه التحركات بدور البحث عن "المعنى المكاني والهوية الثقافية".[62] تم إرساء حالة من الحكم الذاتي المحلي عبر ممارسات على المستوى الوطني تتمثل في إغلاق الطرق السريعة، حيث لم يتوقف الأمر عند رفع الصوت بالمطالب، بل

[59] Georges Hajj, Recorded interview, July 2022, Lebanon.

[60] Marcelle El Achkar, Recorded interview, July 2022, Lebanon.

[61] Christina Karam, Recorded interview, July 2022, Lebanon.

[62] Castells, *The City and the Grassroots*.

تم أيضاً تحدي القيم الثقافية السائدة، وتحولت الأشكال المكانية واستكشاف معاني اجتماعية جديدة للفضاء الحضري. وهذا ما يجعل من حركة احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019 ثورة حضرية بالكامل.

ولكن إغلاق الطرقات، التي كانت دائماً في البداية ممارسة محلية للغاية، كانت مرتبطة بممارسات وسياسات وطنية أوسع. كشفت استقالة الحريري القيود المفروضة على إغلاق الطرقات السريعة وشكّلت نقطة تحول رئيسية في هذه الممارسة. ويؤكد حسن أن قطع الطرقات يمكن أن يحل محل المنظمات النقابية في تنظيم إضراب عام جماهيري، إلا أنه لا يمكن أن يحلّ محل قدرتها على وضع أجندة سياسية مستدامة.[63] ومن عيوب حواجز الطرقات أيضاً هو طبيعتها العشوائية، حيث لم يكن أولئك الذين يحتجون على النظام الحالي وحدهم الذين يمكنهم الاستفادة منها، بل يمكن تحويلها بسهولة إلى أدوات لقمع الاحتجاجات وشن ثورة مضادة. يتذكّر تميم عبدو كيف بدأت الأحزاب السياسية بإرسال أنصارها لقطع الطرقات متظاهرين بأنهم جزء من الحراك الشعبي.[64] وبعد استقالة الحريري، بدأ أنصاره بقطع الطرقات بالتنسيق مع الجيش.[65]

علاوةً على ذلك، ومع تباطؤ نمو حركة الاحتجاجات، أصبحت السواتر والحواجز أكثر إثارة للجدل والعنف، وبدأت قوات أمن الدولة بفتح الطرق السريعة بالقوة. في 25 تشرين الثاني/نوفمبر، أودى حادث سير بحياة شخصين، بعد اصطدام سيارة بحاجز للجيش اللبناني، حسب ادعاء المحتجين بالقرب من مخيم للاحتجاجات في الجية، مما أدى إلى تأجيج التوتر الطائفي. قام أنصار حزب الله وحركة أمل باتهام المحتجين بالمسؤولية عن حادث السيارة لأنهم أغلقوا الطريق، وأعقب ذلك حدوث هجمات عنيفة. وبحلول شهر آذار/مارس 2020، كانت قوات الأمن اللبنانية قد أعادت بالقوة فتح كافة الطرقات التي أغلقها المتظاهرون.

الخاتمة

منذ احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر 2019، كان على لبنان أن يتعامل مع جائحة كوفيد-19، وهي إحدى أكبر الانهيارات الاقتصادية على مستوى العالم، وعواقب انفجار مرفأ بيروت في 4 آب/أغسطس 2020، وهو أحد أكبر الانفجارات غير النووية التي ضربت مدينةً على الإطلاق. وحتى بين هذه التناقضات أو ربما بسببها، لا يزال صدى احتجاجات عام 2019 يتردد في المجتمع اللبناني. تمثّل هذه الاحتجاجات ومضة أمل، وهي لحظة تمكّن فيها السكان من التوحّد، رغم الاختلافات الطبقية والطائفية والسياسية، ضد النخبة الحاكمة المتصلبة في البلاد. أصبح العديد من المجموعات السياسية التي تشكّلت خلال فترة الاحتجاجات أحزاباً مُسجّلة رسمياً.[66] في الانتخابات العامة لعام 2022، تم انتخاب العديد من المرشحين للبرلمان اللبناني، الذين لم يكونوا متحالفين مع الأحزاب السياسية التقليدية. ورغم اختلاف التوجهات السياسية لهؤلاء المرشحين، يعتبر العديد من المحللين أنهم يشكّلون كتلة ثورية أو مستقلة (وإن كانت فضفاضة) داخل البرلمان تمثّل احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر. وإلى جانب المجموعات السياسية الجديدة، ظهرت حركات عمالية بديلة، مثل اتحاد المهنيين اللبنانيين (LPA).[67] وعلى نحو متصل، حقق المرشحون المستقلون، منذ احتجاجات تشرين الأول/أكتوبر، عدة انتصارات في الانتخابات النقابية. لا يزال ثمة صراع حول مضمون وآثار الحركة الاحتجاجية لعام 2019، وهي لا تزال تُلقي بظلالها على النضالات المعاصرة في لبنان من أجل الوصول لمجتمع يحظى أبناؤه بالمزيد من الكرامة والعدالة والإنصاف.

63 Hassan, 'The Power and Limits of Blocking Roads', p. 183.

64 Abdo, 'Reconstructing the Uprising in Tripoli', p. 290.

65 Ibid.

66 Maria El Sammak, 'Rethinking the Impact of the 2019 Popular Protests in Lebanon,' *LSE Middle East Centre Blog*, 8 July 2022. Available at https://blogs.lse.ac.uk/mec/2022/07/08/rethinking-the-impact-of-the-2019-popular-protests-in-lebanon/ (accessed 25 May 2023).

67 Nadim El Kak, 'Lebanon's Alternative Labor Movement: In between Collapse and Revolutionary Imaginaries', in *The Lebanon Uprisings of 2019*, Karam and Majed, eds, p. 133.



Middle East Centre
London School of Economics
Houghton Street
London, WC2A 2AE

LSEMiddleEast
lsemiddleeastcentre
lse.middleeast
lse.ac.uk/mec